مشهد

حوارات أطلسيّة تاريخ، لغة ومائة عام من العزلة

قارتان في بوتقة واحدة

في كتابهما «حوارات أطلسيّة: الثقافة والعلم بين إسبانيا وأميركا في القرن العشرين»، الصادر حديثاً، يعود خوان بابلو وانطونيو لوبيز فيغا إلى دراسة العلاقات المعقّدة التي ربطت بين إسبانيا وبلدان مستعمراتها السابقة، ومن ثمّ تفسير كيف جرى تذويب الجليد تدريجياً

جعفر العلوني

إسبانيا على ضفة، وعلى الأخرى القارة الأميركية، وبينهما تاريخ مشترك، لغة واحدة، محيط، ومائة عام من العزلة. بهذه الطريقة يلخّص كل من خوان بابلو وأنطونيو لوبيز فيغا العلاقة «الزوجية»، على حد تعبيرهما، التي ربطت بين الإمبراطورية الإسبانية العظيمة سابقاً، ودول القارة الأميركية المستقلة اليوم في كتابهما «حوارات أطلسيّة: الثقافة والعلم بين إسبانيا وأميركا في القرن العشرين»، والصادر حديثاً عن دار نشر «Galaxia Gutenberg».

الكتاب الذي يبدأ مع بداية استقلال الجمهوريات الأميركية، يروي تاريخ العلاقات المتوترة التي عاشتها كل من إسبانيا ومستعمراتها السابقة، إذ طال الجفاء بينهما على مدى القرن التاسع عشر كله تقريباً، على الرغم من كل ما يوحدهما بدءاً من القاسم اللغوي، ولكن حقيقة الأمر تقول إن العلاقات الفعلية لم تبدأ حتى مطلع القرن العشرين، ويعود الفضل في ذلك إلى العديد من الشخصيات الثقافية والمؤسسات والجمعيات والمنشورات التي ساهمت في لمّ الشمل وروّجت إلى ضرورة فتح سفارات بين الدول، ولكن هذا الأمر لم يتم فعلياً حتى العام 1917، بعد ضغط العديد من الشخصيات الثقافية وفي طليعتها الفيلسوف الإسباني خوسيه أورتيغا أي غاسيت الذي قال آنذاك «إن إسبانيا هي الدولة الأوروبية الوحيدة التي ليست لها علاقات سياسية أو ثقافية مع القارة الأميركية».

وقد تزامن كل ذلك، كما يشرح الكاتبان، مع «اكتشاف العالم الأميركي»، الذي نهض كقوة رئيسية وأساسية بعد دوره الحاسم في الحرب العالمية الأولى، حينها أدركت إسبانيا أهمية الحوارات الأطلسية، لا سيما في مجالي العلم والثقافة. هكذا تأسس «المعهد الثقافي الإسباني-الأرجنتيني» الذي روّج له كل من أورتيغا أي غاسيت وميننديث بيدال الذين لم يترددا في السفر هناك وإلقاء المحاضرات.

إننا في الفترة الفضية من الأدب الإسباني والتي امتدت بين 1898 و1939، حيث شهدت هذه الفترة، على الرغم من كل كوارثها وأزماتها السياسية والاقتصادية والديكتاتوريات والحروب، «سخاءً في السرية»، يوضح الكاتبان، في إشارة إلى المصطلح الذي نشره آنذاك الفيلسوف الإسباني خوسيه غاوس، والذي اضطر إلى مغادرة إسبانيا بسبب الحرب الأهلية.

يخصص الباحثان جزءاً مهماً من الكتاب لتحليل القسم الأول الذي حمل عنوان «لم الشمل الثقافي المعقد»، حيث يسلّطان الضوء على الدور الذي لعبه مثقفو إسبانيا وأميركا اللاتينية. فميغيل دي أونامونو نشر، تمثيلاً لا حصراً، ما يقارب أربعمائة مقال في الصحافة الأميركية، بينما سافر رائد الحداثة الإسبانية، الشاعر النيكاراغوي روبن داريو، إلى إسبانيا، تاركاً بصمته في الشعر الإسباني، بطريقة أثرت على جيل كامل من الشعراء الإسبان، لا سيما خوان رامون خيمينيز وأنطونيو ماتشادو. أثمر هذا اللقاء الثقافي بين المثقفين عن إصدار صحف على درجة عالية من الأهمية، تماماً كما هو الحال مع صحيفتي «البرينسا» و«النائيون» التي راح كل من راميرو وازورين يكتبان فيها، إضافة إلى حضور استثنائي لكل من فيستي بلاسكو وفيديريكو غارسيا لوركا. على الطرف الآخر من المحيط، وتحديداً في المكسيك، كان الفيلسوف والشاعر المكسيكي الونسو رييس، والذي أقام في إسبانيا بين 1914 و1924 يكتب أروع الدراسات عن الأدب الإسباني. في أثناء هذا كله، كانت العلاقات مع المكسيك في أوج ذروتها، لا سيما بعد إصدار مجلة «ريفيستا دي أوكسيدنتي»، التي احتضنت جميع الأفكار والتوجهات، شعراً، ورواية ونثراً.

ما لم يستطع التاريخ أو اللغة لم شمله، فعلته الحرب، تحديداً الحرب الأهلية الإسبانية، حيث شهدت تلك الفترة، كما يشير الكاتبان، هجرة ما يقارب 20 ألف إسباني إلى المكسيك، من بينهم العديد من المثقفين والفنانين والعلماء. هنا، تحديداً، يبدأ الكاتبان بالحديث عن ملامح أولى للعلاقات على الصعيد العلمي بين إسبانيا والمكسيك، إذ قام العديد من العلماء بتطوير أعمالهم في مختبرات المكسيك، ومن ثم الأرجنتين.

ينتقل الكاتبان بعد ذلك للحديث عن مرحلة الانفجار الأدبي المعروفة باسم «البوم»، بما فيها من توترات وسوء تفاهم بين الكتّاب ودور النشر. ستكون برشلونة ودور نشرها عاصمة كتّاب أميركا الجنوبية، وسيجد فيها كل من ماريو بارغس يوسا وغابرييل غارسيا ماركيز بيته الأدبي، وبذلك سيصبح أدب أميركا اللاتينية أساسياً في قطاع الكتاب والنشر في إسبانيا، كما يذكر الكاتبان.

ويخصّص الكتاب جزءاً لا بأس منه يتناول العلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية، والتي تحولت في غضون سنوات قليلة، كما يشير الكاتبان، من علاقة رفض بعد حرب التمثيل الإيمائي في كوبا إلى علاقة افتتان وسحر في الثقافة والأدب الإسباني واللاتيني، مما دفع العديد من رعاة الأدب والفنون الأميركيين إلى احتضان وتقديم أدباء يكتبون باللغة الإسبانية، كما هو الحال، تمثيلاً لا حصراً، مع أرتشر م. هنتنغتون الذي أسّس في نيويورك «الجمعية الهيسبانية»، والتي احتضنت أعمال جميع أدباء تلك المرحلة، إضافة إلى أنها روجت للتبادل الثقافي بين كلّ من إسبانيا وأميركا.

ضمن هذا السياق، يستشهد الكاتبان بالعديد من النصوص والرسائل والمقالات التي تصف انبهار أدباء إسبانيا بالولايات المتحدة الأميركية، فها هو رامون بيريز أيالا يقول عن أميركا إنها «أرض جميع الأجناس، هنا ثمة مكان لجميع الأفكار والمشاعر لكي تذوب وتنصهر في بوتقة واحدة»، وها هو الفيلسوف الإسباني خوليان مارياس يسرد انطباعاته عن الأراضي الأميركية مقتنعاً بأن مستقبل الغرب يكمن في النظر إلى ما يجري في الولايات المتحدة. غير أن هذه النظرة المثالية التي رأى من خلالها أدباء إسبانيا الولايات المتحدة تحطمت في النصف الثاني من القرن العشرين بفضل علماء فقه اللغة، لا سيما أميريكو كاسترو وفيدريكو أونيس. هكذا أصبحت سماء نيويورك تقتل، صار شجرها لا يغني، وعادت بقرة غير حلوب، مدينة بلا أحلام، مدينة عظام، حمام أسود وماء معفن، تماماً كما وصفها لوركا، شاعراً في نيويورك.

لعبت مؤسسات النشر أدواراً مهمة للربط بين القارتين

يظل القاسم اللغوي الأرضية التي يستند إليها كل تقارب

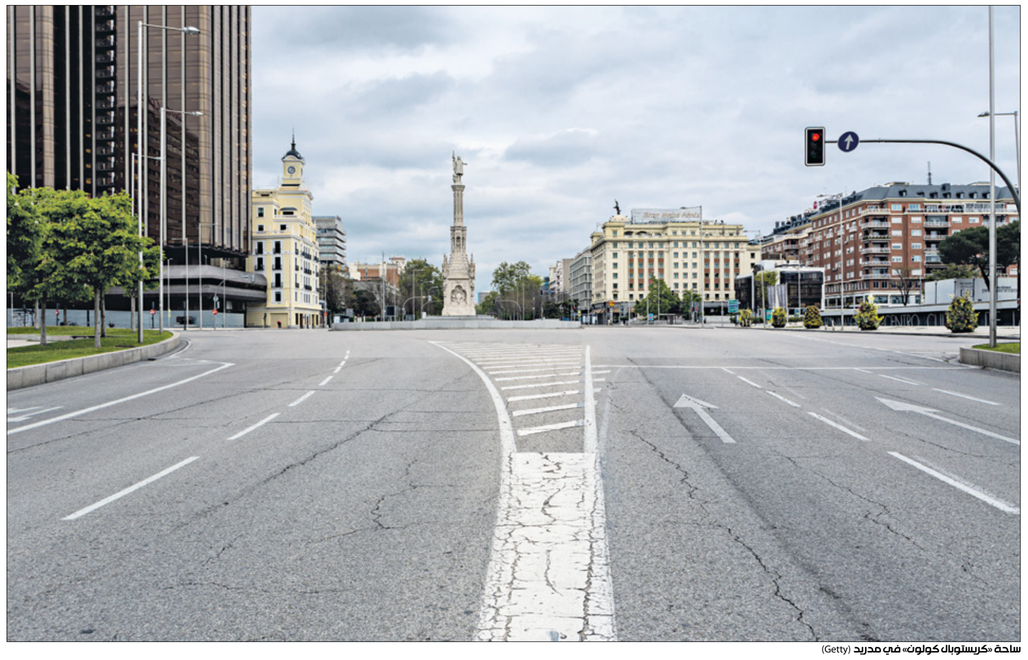

ساحة «كريستوبال كولون» في مدريد (Getty)

تأثير أوسع

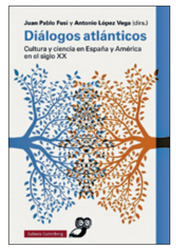

يُحسب لكتاب «حوارات أطلسيّة» (الغلاف) أنه يتصدّى لدراسة العلاقات الثقافية التي ربطت إسبانيا بمستعمراتها بلغة رصينة ومن زوايا نظر مُنصفة لا تدخل في منطق تصفية الحساب مع المستعمر أو تضع البلدان المستقلة في موقع غير ندّي. تتيح هذه النزعة تجاوز الكثير من الإشكاليات التي وقعت فيها مدرسة ما بعد الاستعمار إذ باتت أشبه بمحاكمة لدول وشعوب، وهو ما بات يُضعف قدرتها على التأثير الإيجابي.

هموم شعرية

الكتابة بوصفها تحوّلات وتبادل أدوار

علي البزّاز

استرداح ـ العربي الجديد

■ من هو قارئك؟ وهل تعتبر نفسك شاعراً مقروءاً؟

القارئ هو صلة، يُشبه الوسائط والوسائل: الجسور، الطرق، السدود، هكذا أفهمه وأتعامل معه، وبقدر ذاك، يسرّني أن يتعامل هو مع نصّي بوصفه صلة فحسب وفي علاقة تبادليّة، فالفيضانات لا بدّ لها من السدود، بينما السدود أقيمت خصيصاً للسيول، ولا بدّ للجسور من العابرين وهكذا، وإلاّ فلم أُنشئت أصلاً؟ وهذه الصلة كما يُسمّيها بلانشو «صلة اللا صلة». اعتبر أن القارئ هو أهمّ اكتشاف أنجزه المؤلّف، كما أن المؤلّف هو أهمّ اكتشاف في ما يخصّ القارئ، ولكن اكتشاف القارئ هو أعظم من الأخير، لأنّه هو الأبقى والأشمل، فلولاه لما كُتبت النصوص ولما كان هناك أصلاً أدبٌ.

لستُ شاعراً مقروءاً ويا ليت لي قارئا فحسب.

■ كيف هي علاقتك مع الناشر، هل لديك ناشر وهل هو الناشر الذي تحلم به لشعرك؟

لقد تغيّر مفهوم الناشر، بعد أزمة كورونا، وخصوصاً بعد تقنية «5 جي»؛ أصبح الشاعر أو المؤلّف ناشراً ومُصمّماً وموزّعاً، هكذا، حلّ في مكان الناشر، كما حلّ كتاب الديجيتال عوض الكتاب الورقي. نحن نتعامل مع مفهوم الديجيتال- الصورة، كما مع مفهوم الكود، الإنسان الكود، السلطة الكود والتجارة الكود، إضافة إلى إمكانيّة أن يشتغل المرء حرّاً مع مؤسسات «رمزيّة» مثل «اليوتيوب»، فيتقاضى راتباً على ما ينشره في قناته. فما الذي بقي إذاً من العلاقة مع المؤسسات والأشخاص والسلطة ذاتها؟ فكلّ شيء في تحوّل وتبادل أدوار. أعتقد أن النشر الديجيتالي هو ما يحلم به الكاتب في ما يتعلّق بالحرية وعدم التبعية وسهولة التوزيع ومرونته. لكن سوف يتحوّل الناشر كما الكتاب الورقي، إلى يوتوبيا.

■ كيف تنظر إلى النشر في المجلات والجرائد والمواقع؟

الكتابة هي تدريب يوميّ أوّلاً، مثل العلاقات الأخرى؛ علاقة المرء بالملبس والمأكل والبيت، فكلّ مُمارسة هي علاقة بالضرورة، إنّها اجتراح للوسائط وللوسائل. والمجلات والمواقع، هي من تلك الوسائط، لكن أتمنّى أن تكون علاقة الشاعر بالنشر على أساس هذا القول: «أريدُ أن أكون كالعنكبوت التي تستمدّ من بطنها كلّ خيوط عملها. أمّا النحلة فهي بغيضة عنديّ والعسل نتاج سرقة».

■ هل تنشر شعرك على وسائل التواصل الاجتماعي، وكيف ترى تأثير ذلك في كتابتك أو كتابة زملائك ممن ينشرون شعرهم على وسائل التواصل؟

نعم، أنشر شعري هناك ولكنّني لستُ فعّالاً (وهذا تقصير، ينبغي عدم الوقوع به)، وإذا كنا ندعو إلى الناشر الديجيتالي، فالنشر على وسائل التواصل الاجتماعي، يخدم ذلك، بل ويحرّر المؤلّف، لكن بشرط المراجعة والتمحيص، بحيث يكون الشاعر هو المحرّر لنصوصه وفي مراقبة دائمة لها، فيتناوب على مهن كثيرة حينئذ: التحرير، التصحيح، النشر والتصميم. أتابع باهتمام ما ينشر الشعراء، ولستُ مُمتعضاً من كثرة المنشور (مثلما يقول البعض)، بالعكس، دع الآخر ينشر ويستمتع ويسمع آراء الآخرين، أمّا بصدد القول عن الجيّد أو الرديء، فمن هو الفيصل أصلاً؟ التغيير هو الحكم، وليس مجموعة مُعيّنة من الأشخاص بمن فيهم النقّاد والشعراء؛ فهؤلاء مهما كانت ثقافتهم، فهم ليسوا بالنتيجة خاضعين للتغيير الدراماتيكي إلّا بحمولة مُتفاوتة، وخصوصاً لم الحظ تغييراً جوهرياً في التآليف وطرق العيش والسياسة والاقتصاد، ما بعد كورونا (خصوصاً في عالمنا العربي). يطمحُ كلّ مؤلّفٍ وكلّ فكرة وتصميم وموديل كما أعتقد، أن يكون التغيير- الزمن هو ميزانه.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

علي البزّاز

بطاقة

كاتب وفنان تشكيلي عراقي مقيم في هولندا. صدر كتابه الشعري الأوّل في 2008. وتضمّن أربعة كتب شعرية: «إبقي ساهرةً أيّتها الزينة»، «مرحباً أيّها الطريق يا حلّاج الوعورة»، «ساعي الموجة»، «معاً نقلد الوردة مداها». وفي 2018 صدر له كتاب «كالزحف كالنذير، مُهرّج في شكواي». وآخر منشوراته «لا تعبُر الفجرَ هامشيّاً» (2021). كما صدرت له أربعة كتب شعرية باللغة الهولندية بين 2002 و2007.

معرض

صافية المرّية الهشاشة التي تقاوم الاستبداد

حين تزهر الهندباء

تستعير الفنانة القطرية ـ الأميركية نبتة الهندباء في معرضها «تاراكسوس» الذي يتواصل في لندن حتى العام المقبل

لندن ـ ساندرا كرم

تركّز الفنانة والكاتبة القطرية ـ الأميركية صافية المرّية (صوفيا ماريا) في أعمالها على تأثير التخطيط الحضري لمنطقة الخليج العربي بعد اكتشاف النفط، في محاولة لإبراز العناصر المدمرة للنزعة الاستهلاكية على الإنسان والمكان، وكيف تمّ استبدال التاريخ بفانتازيا ترفية في الذاكرة الجمعية. وتقدّم معالجات فنية تستند إلى مفاهيم من العمارة وعلم الجمال والثقافة الشعبية، كما تترجمها في معرضها «تاراكسوس» الذي افتتح في «غاليري سربنتين» بلندن في الحادي والعشرين من حزيران/ يونيو الماضي ويتواصل حتى الرابع والعشرين من نيسان/إبريل المقبل. تعود المرّية إلى الهندباء التي تشبه زهرتها النجمة، من خلال دراستها لدورة حياة هذه النبتة التي استخدمت اسمها في اللغة اللاتينية عنوان معرضها، باعتبارها رمزاً للحرية والمقاومة حيث تستطيع كلّ بذرة أن تستجيب لعوامل المناخ المتغيّرة وتعمّر طويلاً، كما أنها تُزهر مرتين في الربيع والخريف. في مشروعها الذي بدأ عام 2019، كتبت الفنانة نصاً وأدّته كتمرين صوتي تأملي لعملية التنفس ترافقه موسيقى من تأليف كيلسي لو، ثم تطوّرت الفكرة من خلال تصميم فضاء تأملي يماثل خشبة المسرح يمكن للزوار أن يقفوا بين اثني عشر عموداً معدنياً تأخذ شكل بذور الهندباء والاستماع إلى التسجيل الصوتي، الذي يصدر من التركيب النحتي الذي مكن العزف على الأعمدة التي تم تغطية سيقانها بالنحاس.

تشكّل الأعمدة علامة النجمة التي ترمز إلى كسور بذور الهندباء، ونُقش في أسفلها نقش يحاكي الإدادة الملاحية لرصد سرعة الريح، حيث تشير العلامة النجمية إلى إعادة الكتابة والمراجعة، وهي النيمة الأساسية للعمل، الذي يوضع في مركزه قطعة مأخوذة من طائرة وهي مصنوعة من التيتانيوم، العنصر الكيميائي خفيف الوزن لكنه متين ومقاوم للصدأ في معادلة بصرية لبذور الهندباء أيضاً، والتي تبدو هشّة لكنها تبقى حيّة حين يحملها الهواء من مكان إلى آخر.

في مستوى ثانٍ، تذهب المرّية إلى فكرة الوقت حيث تشبّه زهرة الهندباء بالساعة في الحضارات القديمة كالسومرية والبابلية، وهي تحيل إلى السفر عبر الزمن وانتقال الأفكار من جيل إلى جيل، ومن حضارة إلى حضارة، وفي مقدّمتها مناهضة العبودية والاستبداد، والقدرة على المقاومة والتحمّل. يجمع العمل بين الأداء والموسيقى والصوت والنحت كما في معظم أعمال الفنانة السابقة التي تتجاوز فيها وسائط فنية متعدّدة، إلى جانب اتكائها على مرجعيات فلسفية وتاريخية وأدبية في الإضاءة على قضايا تعيشها المجتمعات ما بعد الاستعمار، وفي زمن هيمنة الشركات المتعدّدة الجنسيات وتدميرها للطبيعة والإنسان، والعنف الأبوي. وتحمل أعمالها أيضاً انتقاداً للتكنولوجيا بوصفها وسيطاً يحلّ مكان المعاش اليومي، وينزع الروح من الحياة المعاصرة، وتضع الجماليات التي تقدّمها الآلة اليوم في موضع التساؤل حول المستقبل الذي ينتظر الإنسان في عصر سوريالي ومضطرب. يُذكر أن صافية المرّية من مواليد عام 1983. نالت درجة البكالوريوس في الآداب المقارن من «الجامعة الأميركية» في القاهرة، والماجستير في الثقافات السمعية والبصرية من «جامعة لندن»، وهي تستند في معظم مشاريعها إلى نصوص جان بودرياز وغي ديبور وآخرين.

تتساءل الفنّانة عن المستقبل الذي ينتظر الإنسان في عصر الشركات

من المعرض (Getty)

فعاليات

يقام حالياً، وحتى تشرين الأول/أكتوبر المقبل، معرض بعنوان **التجليد** في **مكتبة جامعة لورين** في مدينة نانسي الفرنسية، يؤرّخ لهذه التقنية التي ارتبطت بصناعة الكتب. يجمع المعرض بين مواد بيداغوجية تحاكي تاريخ التجليد، وكتب قديمة تملكها المكتبة، يعود معظمها إلى العصور الوسطى الأوروبية.

ضمن برنامج **كاتب وكتاب** الذي تنظّمه شهرياً «مكتبة عبد الحميد شومان» في عمّان، تتحدّث مساء اليوم الكاتبة السوريّة **شهلا العجيلي** (الصورة) عن روايتها «سماء قريبة من بيتنا» (2015)، عبر تطبيق «زووم» وصفحات المكتبة على مواقع التواصل الاجتماعي. تعود الرواية الى تاريخ حلب في منتصف القرن العشرين، ويقدّمها خلال الامسية الكاتب الاردني زياد الزعبي.

حتى 31 من الشهر الجاري، يتواصل المعرض الجماعي **صيف 2021** في «غاليري ازاد آرت» بالقاهرة، بمشاركة 37 فناناً وفنانة يتناولون ثيمة الصيف من زوايا متنوّعة. من الفنانين المشاركين **خالد عبد الوهاب**، و**علي المريخي**، و**رشا عالم**، و**نورا السعدي** (اللوحة)، و**عبد الوهاب عبد المحسن** و**ياسر جعيصة** و**احمد سليم**.

ينظّم «مترو المدينة» بيروت، يومي الإثنين والثلاثاء، 2 و3 من الشهر المقبل، حلقة جديدة من برنامج **متروفون** الذي يستعيد جوانب منسية من تاريخ الاغنية في لبنان بالاعتماد على ارشيف الإذاعة اللبنانية. تُخصّص الحلقة للفنّان **سامي الصيداوي** (الصورة) الذي تقدّم سماح بو المنى عدداً من اغانيه.